# الدلالة القرآنيّة وأحداث يوم المهديّ

## (في ضوء الدلالة القرآنيّة ومبدأ عدم الافتراق)

إعداد :

د. حسين عبد الغني الأسديّ

من إصدارات مركز الشهيدين الصدرين للدراسات والبحوث

**التوطئة المنهجيّة:**

يتخذ البحث(الدلالة القرآنيّة وأحداث يوم المهديّ) منحىً جديداً في فهمه لدلالة الألفاظ القرآنيّة، ولفهمه للنصّ القرآنيّ الكريم يعتمد على منهجيّة (غلق المدوّنة أو المدوّنة المغلقة)، وهي منهجيّة أقرب ما تكون إلى عمل عالم الآثار عندما تقع بين يديه قطعة أثرية من عصورٍ سابقة؛ فلا محيص له في فهم هذه القطعة، ووضعها في إطارها الحضاريّ في ذلك الوقت إلا إخلاص التأمّل فيها، وفيما اشتملت على نقوش، وصور، وغير ذلك، وبهذا؛ فكلّ ما يتوصّل له دليل من تلك القطعة؛ إذ لا مساعد له خارجها، لكنّه يعمل على الإفادة من الملامح الحضاريّة التي تنتمي تلك القطعة إليها، ويعرّف هذا المنهج الفيلولوجيّ، ويعني منهجيّاً العناية بدراسة النصوص المكتوبة القديمة.(١)

يلاحظ أنّ فكرة غلق المدوّنة تقترب من بعض مناهج التفسير وأعني به (تفسير القرآن بالقرآن). فالقرآن بوصفه مدوّنة كاملة يستطيع أن يزوّدنا بدلالات ألفاظه التي أرادها من تتبّع موارد استعمال كلّ لفظة منها. وإظهار سياقها وطبيعة الألفاظ التي تقترن باستعمالها، ونظراً إلى أنّ منهج (تفسير القرآن بالقرآن) لم يوظف توظيفاً متكاملاً في تفسير القرآن، ويترك آياتٍ كثيرةً لم يستطع تقديم تفسيرها، وفهم دلالاتها؛ فقد جرى إهماله، ولم يستطع العلماء الارتقاء به ليكون منهجاً متكاملاً لتفسير القرآن بالقرآن نفسه.

ويظهر أنّ انعدام الإفادة على نحو متكامل من هذا المنهج في التفسير في بعض جوانبه متعلقاً بتوجّهات سياسيّة حاولت الخروج من الالتزامات القرآنيّة، وإخضاع تفسير الآية لفكرة مسبقة ما يرد في هذا الجانب

تفصيلات كثيرة سيتكفل بعض بحوثنا بالوقوف عندها. من هنا طرح منهج المدوّنة المغلقة على إعادة الاعتبار لتفسير القرآن بالقرآن بوصفه منهجاً لغوياً دلالياً يجري توظيفه لفهم النصّ القرآنيّ المقدّس.

إنّ الأمر الجدير في الاعتبار، في إطار فهم النصّ القرآنيّ أنّ طائفة من الأحاديث النبويّة أعطت لمدوّنة القرآن امتداداً دلالياً ولفظياً داخل النصوص الشريفة للسنّة النبويّة المرويّة عن عترة آل محمّد عليهم السلام؛ ويظهر ذلك في الحديث المشهور بـ(حديث الثقلين) الذي رواه جماعة من المحدّثين، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)(٢)

إذ نصّ الحديث الشريف على أنّ عترة النبيّ(صلّى الله عليه وآله وسلّم) لن يفترقوا عن كتاب الله في أيّ جانب من جوانب القرآن الكريم سواء في مجال الأحكام والعقائد، أو في المجالات الأخرى، ومنها المجال اللغويّ الدلاليّ؛ ولاسيّما مستوى (دلالة الألفاظ) القرآنيّة؛ إذ سترد في كلامهم بالدلالات القرآنية نفسها تلك التي استعملت بها الألفاظ في القرآن.

إنّ هذا الاختصاص لأهل البيت (عليهم السلام) الذي يؤسّسه هذا الحديث وأحاديث أخرى وردت بالمعنى نفسه يُقرّر مبدأ دلاليّاً مهمّاً نطلق عليه (مبدأ عدم الافتراق) المأخوذة من عبارة الحديث: (وإنّهما لن يفترقا).

إذاً فمنهج بحثنا هذا يرتكز على جانبين هما:

١ـ تفسير القرآن بالقرآن (منهج المدوّنة المغلقة).

٢–مبدأ عدم الافتراق (بين أهل البيت والقرآن الكريم).

ويتكفل هذا المنهج بالكشف عن القوانين اللغويّة، وقواعدها التركيبيّة الخاصّة بالنصّ القرآنيّ، وخاصّة بمستواه الدلاليّ اللفظيّ. وكذلك النصّ الملحق بهذه المدوّنة، وهو الأحاديث المرويّة عن أهل البيت (عليهم السلام) سواء أكانت رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم كانت من كلامهم، وأدعيتهم، وخطبهم. وعلى أيّ حال؛ فإنّ البحث هنا سيركز جهده على مجال (دلالة الألفاظ) وهو المجال التي يمثل القسم الأكبر من اهتمامات علم الدلالة المعاصر.

إنّ من أساسيّات منهجنا هذا؛ أن ينظر إلى كلّ كلمة في النصّ القرآنيّ (خاصّة)، وصفها لفظاً مستقلاً عن بقية الألفاظ التي تشاركه في الجذر اللغويّ، ومن ههنا؛ فإنّ لكلّ لفظة عدّة سمات مميزة تحدد هُويّتها، وتلك السمات هي:

١–السمات المعجميّة التي يمثلها المعنى اللغويّ.

٢–السمات البنائيّة: وهي المتأتية من صيغتها اللفظة الصرفيّة.

٣–السمات النحويّة: وتظهر من علاقات اللفظة بغيرها من الألفاظ، ويظهر ههنا مجموعة الألفاظ التي تكون معها اقترانات لفظيّة، وطبيعة الوظائف النحويّة التي تشغلها في الجملة، وتعدّ هذه السمات انعكاساً في مستوى التركيب للسمات المعجميّة والبنائيّة، وقدرة اللفظة على فرض سياقها، بنوعيه: السياق اللغويّ والسياق الحال.

يتجّه البحث إلى بيان جزء من أحداث ذلك اليوم العظيم المنتظر. وذلك الجزء هو المتعلق بمنزلة ينالها الذين آمنوا وصدّقوا بعلامات الظهور من أهل

العراق ممن سيصبر على الابتلاء العظيم الذي سيحلّ بهم، وكانت لهم البشرى القرآنيّة عند الظهور في عدّة مواضع في القرآن الكريم، سيعرضها البحث بحسب ورودها في السور القرآنيّة وفي ظلّ بيئتها اللغويّة(اللفظيّة).

**بدء البشرى:**

بدت هذه البشرى من بعض الآيات القرآنيّة في بحثنا الخاصّ بعلامات الظهور الموسوم بـ(سقوط الفخّارة فرج لأمّة محمّد(ص) )(٤) إذ تتحدّث هذه الآيات عن اختلاف بين الأحزاب الظالمة، وصراعها للاستحواذ على كرسي الحكم . وسيكون هذا الاختلاف هو قطع النظام الضامّ للخرز المعبّر عنه في بعض أحاديث الظهور بأنّ الآيات (العلامات) تقع متتابعة الواحدة بعد الأخرى كأنّها خرزات المسبحة عند انقطاع خيطها.

وستبدأ معالم الفرج المهدويّ ببدء ذلك الاختلاف، ولاسيّما للمؤمنين من أهل العراق؛ إذ سيصيبهم من هذه الأحزاب أذًى كثيرٌ.

ورد عن ا لإمام جعفر بن محمّد (عليه السلام) في هؤلاء قوله: ((يا محمّد، ليس يرى أمّة محمّد (ص) فرجاً أبداً، ما دام لولد بني فلان ملك حتى ينقرض ملكهم ؛ فإذا انقرض ملكهم أتاح الله لأمّة محمّد(ص) برجلٍ منّا أهل البيت يشير بالتقى، ويعمل بالهدى، ولا يأخذ في حكمه الرشا، والله إنّي لأعرفه باسمه واسم أبيه، ثمّ يأتينا الغليظ القصِرة، ذو الخال والشامَتين، القائد العادل، الحافظ لما استودع يملؤها عدلاً وقسطاً كما ملأها الفجّار جوراً وظلماً) (٥)

وينقسموا فريقين ولا ينتهون إلا بذهاب ملكهم، وفي ذلك ورد قول الصادق عليه السلام: (لا يكون فساد ملك بني فلان حتى يختلف بني فلان؛ فإذا اختلفا كان فساد ملكهم) (٦)

ويكون على إثر ذلك خروج السفيانيّ والخراسانيّ هذا من الغرب، وهذا من الشرق كفرسي رهان للقضاء على بني فلان. وأعوانهم كأنّهما في محاولة لملء الفراغ السياسيّ، والأمنيّ في المنطقة.

وقد رجّحنا في البحث المذكور أنّ المراد بـ(يا فلان) المذكور في أحاديث الظهور؛ هم حكام نجد والحجاز من آل سعود، وهم المعنيّون بتسميات أخرى أشهرها: بنو العباس، وآل مرداس، وآل دوسع. وتكفل البحث المشار إليه تفصيل ذلك. وكان الافتراض الذي قادني نحو تناول الآيات الآتية بوصفها تتحدّث عن هذا الاختلاف، ثمّ اقتراح المنهج المستند إلى مبدأ عدم الافتراق يكمن في أنّ طائفة من علامات الظهور جرى ذكرها في الآيات القرآنيّة بحسب ما نصّت الروايات عن أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) وعن غيرهم، علماً أنّ بعض تلك العلامات تبدو أقلّ أهمّيّة من العلامات الخاصّة باختلاف بني فلان، فكان الأولى أن تخصّ هذه العلامة بالذكر في القرآن لأهمّيّتها، ولكنّي لم أجدْ ما يشير إلى ذلك، فكان البدء من لفظة (اختلاف) و(اختلف)، فوقعت على آيتين في سورة مريم وسورة الزخرف، ولمّا وجدت أنّ الآية في سورة مريم قد خصّت باختلاف أهل الشام على ما ذكر عن الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) (٧) ممّا ساعدتني على التوجّه نحو الآيات من سورة الزخرف ومحاولة كشف ما ذكر فيها ومدى توافقه مع الأحاديث التي استعرضت فيها الأحداث المرتبطة ببني

.....(١١)

فلان، وقد بدا التوفيق واضحاً على ما هو مذكور في البحث المشار إليه آنفاً.

أمّا الآيات موضع ذلك البحث فهي: قال تعالى: ((فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ{٦٥} هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ{٦٦} الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ{٦٧} يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ{٦٨} الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ{٦٩} ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ{٧٠} يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ{٧١} وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ{٧٢} لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ{٧٣} إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ{٧٤} لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ{٧٥} وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ{٧٦}))/سورة الزخرف إذ يرد ذكر المهديّ (عليه السلام)عند وقوع هذا الاختلاف من لفظة الساعة التي ترد في القرآن الكريم لتدلّ عليه (٨) ثمّ ما يتبع ذلك من تفكك الروابط الاجتماعيّة التي يستثنى منها المتقون، ثمّ يظهر النداء الإلهيّ في لفظة (يا عبادي) التي تكون محور بحثنا هذا بدلالتها على المؤمنين من أهل العراق وخاصّة دون غيرهم من أتباع أئمّة أهل البيت وسائر المسلمين ممّن لم يدينوا لله بولاية إمام منه.

## البشرى الأولى: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم

تظهر هذه البشرى في الآيات آنفة الذكر من سورة الزخرف، وذلك بقوله تعالى:((يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ{٦٨}الَّذِينَ

آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ{٦٩}ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ{٧٠})) الزخرف.

إذ تبرز لفظة (يا عبادي) بالسند أي: الإضافة إلى ياء المتكلم لمزيد من التشريف والكرامة للمنادى، وكون المعنيّين؛ هم مؤمنو أهل العراق ممن يعيش في الحقبة التي تكون قبل الظهور المهدويّ على مشارف بدء تحوّلات كبرى في المجتمع البشريّ لتحقيق الاستخلاف، وقيام دولة الحقّ. إذ سيتعرّض هؤلاء الأنواع من البلاء يكون الفرج منها بظهور صاحب الأمر. وسيكون بظهور ارتفاع هذا البلاء؛ ومن ههنا تشير الآية (٦٨) إلى نفي الخوف باستعمال (لا) التي تنفي الواحد مما يعني أنّ هذا الخوف المنفيّ بها خوف خاصّ شمل هؤلاء المنادين بـ(يا عبادي)، إذ جاء تركيب الآية بـ(لا خوف عليكم اليوم)، ولم يكن خوفاً عامّاً؛ فتكون لا لنفي الجنس ولكانت الآية(لا خوف) ببناء(خوف) على الفتح، فهذه (لا) النافية المشبّهة بليس، ويكون اسمها مرفوعاً (٩)

فالنفي في الآية يتوجّه نحو خوف مخصوص بعينه، وترتبط حقبة هذا الخوف بالظهور بذكر كلمة (اليوم) التي ترد بدلالة يوم تحقق الولاية وتحققها ههنا ، بولاية خليفة الله المهديّ. ويبدو أنّ هذا الخوف سيكون عند امتلاء الأرض بالظلم، وعلى وفق المنهج المقرّر للبحث توجّهت نحو الآيات الأخرى في سبيل مزيد من تحديد معالم هذا الخوف، ووجه خصوصيّته، ويرتبط بحقبة قبيل الظهور: فوجدت ذكر خوف بعينه في سياق طائفة من الابتلاء مع البشرى للصابرين؛ وذلك هو قوله تعالى: ((وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ

الصَّابِرِينَ{١٥٥} الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّـهِ وَإِنَّـا إِلَيْـهِ رَاجِعونَ{١٥٦} أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ{١٥٧}))سورة البقرة

إذ جاء في الآية (شيء من الخوف)؛ فهو خوف محدّد، وهو نكرة كما كان في آية الزخرف ويلي بعده ما يوجب الحزن، وقال في الآية من الزخرف (ولا أنتم تحزنون). ويرد ههنا قول الإمام جعفر بن محمّد الصادق (عليه السلام) ليربط كلّ ذلك بالظهور، وذلك فيما روي عن محمّد بن مسلم أنه قال: وما هي؟ جعلني الله فداك. قال (عليه السلام): قول الله عزّ وجلّ (ولنبولنّكم) يعني المؤمنين قبل خروج القائم، (بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين). قال: نبلوهم بشيء من الخوف من ملوك بني فلان في آخر سلطانهم، والجوع بغلاء أسعارهم، ونقص من الأموال قال: كساد التجارات وقلة الفضل، ونقص من الأنفس، قال: موت ذريع(١٠) ونقص من الثمرات: قلة ريع ما يزرع. وبشر الصابرين، عند ذلك بتعجيل خروج القائم)(١١). فهذا الخوف يأتي من (بني فلان) ويظهر أنّ لهم سلطاناً يستطيعون به نشر الخوف كما يظهر المؤمنون، وقد دخلوا حقبة من الاخيار الأمنيّ والاقتصاديّ؛ وسبق أن رجّحنا كون بني فلان هم (آل سعود).وكما كان ذكر لفظة الساعة (وهي المهديّ) أتى في عقب اختلاف الأحزاب فكذلك ههنا يأتي المهديّ بعد وقوع هذا البلاء بالمؤمنين من هؤلاء المتسلطين. وقد ربط بين (بني فلان) وبين الأحزاب المختلفة ؛إذ نراهم وأنصارهم ينقسمون مع كلّ من يريد الملك له.(١٢)

السؤال الأكثر أهمّيَة ههنا يكمن في مَن هؤلاء المؤمنون الذين سيشملهم هذا الابتلاء، وللصابرين منهم البشرى بالظهور، وما يتبعها من صلوات ورحمة؟

يأتي الجواب من تتبّع استعمال كلمة (خوف) نكرة، ومن اقترانات لفظيّة ظهرت في الآية؛ فمن ذلك ما جاء عن الصادق (عليه السلام) بقوله: (وخوف يشمل أهل العراق وبغداد، وموت ذريع فيه نقص من الأموال والأنفس والثمرات، وقلة لما يزرع الناس) (١٣) فالألفاظ نفسها استعملها الإمام مع (خوف) بالتنكير؛ فالمؤمنون المعنيّون إذاً بالآية(١٥٥) من سورة البقرة؛ هم من أهل العراق. ويظهر أنّه نفس الخوف المذكور في الحديث الآتي، وهو عنه عليه السلام أيضاً: (يزجر الناس قبل قيام القائم عن معاصيهم بنارٍ تظهر في السماء (حتى قال): وشمول أهل العراق خوف لا يكون لهم معه قرار) (١٤)

وعوداً إلى الآية من الزخرف ؛فإنّ ذلك الخوف سيكون هو الذي يحلّ بأهل العراق، فلذلك سيكون النداء موجّهاً إليهم خاصّة، وعلى هذا سيكون ما بعد ذكر الخوف متعلقاً بهم، فمن معالم صبرهم الرجوع إلى عند كلّ مصيبة ؛لذلك سيكون الجزاء: عليهم صلوات من ربّهم ورحمة، ومن تخصيصهم بـ(هم المهتدون). ومن ههنا يأتي كلام الإمام محمّد بن عليّ الباقر(عليه السلام) ليعرض صورة المشمولين بتلك الصلوات والرحمة ؛ إذ جاء في حديث طويل حدّث به جابراً (رض)؛ قال فيه: (يستذلّ أوليائي في زمانه ،وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الديلم والترك، فيقتلون ويحرقون، ويكونون خائفين وجلين مرعوبين، تصبغ الأرض من دمائهم،

ويفشو الويل والرنّة في نسائهم. أولئك هم أوليائي حقاً، وحق عليَّ أن أرفع عنهم كلّ عمياء حِندسٍ، وبهم أكشفُ الزلازل، وأرفعُ عنهم الآصار والأغلال ((أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ{١٥٧}))سورة البقرة( ١٥٧)

فذكر هذه الآية في هذا السياق يقودنا إلى القول على وفق المنهج المعتمد بأنّ ما ذكره الباقر (عليه السلام) يحلّ بالعراقيين. ولعلّ لنا من الواقع المعاصر مصداقاً لكلّ ما ذكر.

**البشرى الثانية: يا عبادي إنّ أرضي واسعة**

تعضد المعاني والدلالات التي اشتملت عليها النصوص آنفة الذكر التي اقترنت بلفظة (يا عبادي) ما جاء في بقية موارد استعمال هذه اللفظة في القرآن الكريم، ومن ثَمّ تأكيد دلالته الخاصّة باتباع أهل البيت في العراق ممن سيصبر حتى إذا وقع علامات الظهور (آياتنا) صدق بها، وكان من المسلمين بها. ونذكر في هذه البشرى الثانية مجيء لفظة(يا عبادي) مقترنة بطائفة من الألفاظ التي لها دلالات واقترانات بيوم المهديّ الموعود، وصاحبه المنتظر وتظهر هذه البشرى في قوله تعالى: ((يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ{٥٣} يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ{٥٤} يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ{٥٥} يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ{٥٦}))سورة العنكبوت. اقترنت لفظة (العذاب) بجملتي(وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) هو الاقتران نفسه الذي ظهر مع لفظة (الساعة) وهي من أسماء المهديّ

(عليهِ السلام ) في سورة الزخرف آنفة الذكر ما يكشف أنَ الدلالة القرآنيّة للفظة(العذاب) تتعلق بالمهديّ(ع) أيضاً؛ فهو المسلّط على أعداء الله تعالى. وقد نصّ كلام الإمام الصادق(ع) على أنّ هذه اللفظة القرآنيّة تدلّ عليـــه؛ وذلك في بيانه لقوله تعالى: ((وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّـــةٍ مَّعْـــدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ))هود٨

قال الإمام (عليه السلام): (العذاب: خروج القائم، والأمّة المعدّة عـــدّة أهل بدر وأصحابه)(١٦) وجاء عنه في قوله تعالى: ((قُلْ مَـــن كَـــانَ فِـــي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّـــا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضْعَفُ جُنداً))مريم٧٥، قولـــه (ع): (..وأمّا قوله: حتى إذا رأوا ما يوعدون، فهو خـــروج القـــائم (ع) وهـــو الساعة، فسيعلمون ذلك اليوم وما نزل بهم من الله على يدي قائمه. فذلك قوله من هو شرّ مكاناً: يعني عند القائم، وأضعف جنـــداً..) (١٧) وقـــد اقترنت اللفظتان (الساعة والعذاب) ببعضهما، ثمّ إنّ الفعل (يستعجل) يظهر اقتراناً مع (الساعة) كما جاء في قوله تعالى: ((اللَّهُ الَّذِي أَنـــزَلَ الْكِتَـــابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ{١٧} يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَـــا إِنَّ الَّـــذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ{١٨}))سورة الشورى.

وقد جاء عن جعفر بن محمّد(ع) قوله: (ما هي –والله – إلا قيام القائم عليه السلام)(١٨) وعن المفضّل بن عمر قلت: مولاي ما معـــنى يمـــارون؟ قال: يقولون متى ولد؟ وأين هو؟ ومتى ظهر؟ كلّ ذلك استعجالاً لأمـــره،

وشكاً في قضائه وقدرته، أولئك الذين خسروا أنفسهم في الدنيا والآخـــرة، وإنّ للكافرين مآباً)(١٩) وقد ارتبط ذكر الاستعجال، والألفـــاظ الـــتي تشاركه في الاشتقاق بهذا اليوم وصاحبه؛ فقد جاء في قوله تعالى: ((أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ))النحل١. قال أبو عبد الله الصادق(ع) : (وهو أمرنا؛ أمر الله عزّ وجلّ ألا تستعجل به حتى يؤيّده الله بثلاثة أجناد: الملائكة، والمؤمنين، والرعب، وخروجـــه (عليـــه الـــسلام) كخروج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم)(٢٠) وممّا ظهر مقترناً بهـــذا اليوم وصاحبه؛ ما جاء في الآيات من سورة العنكبـــوت (يـــوم يغـــشاهم العذاب)؛ فقد أسند هذا الفعل إلى القائم(ع) فيما جاء في قوله تعالى: ((هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ))الغاشية١، روي عن جعفر الصادق (عليـــه الـــسلام) قوله: (يغشاهم القائم بالسيف..)(٢١) وهذا يعطي دلالة للخروج الذي هو العذاب هي الخروج للقتال، لا الخروج لطلب البيعة، أو غيرها. ومن المفيد؛ الإشارة إلى أنّ لفظة (حديث) بإضافتها إلى الغاشية تقتـــرب مـــن دلالـــة (الحديث) القرآنيّة التي ظهر تعلّقها بهذا اليوم، وصاحبه في موارد استعمالها في القرآن (٢٢) . وتأتي اللفظة(يا عبادي) التي ما إن تـــذكر حـــتى تـــأتي صفتهم (الذين آمنوا)، وهو ذو دلالة تعني من إلى الإمام العـــادل مـــن الله بحسب كلام الصادق (عليه السلام)(٢٣) ثمّ يأتي بعد ذلك قوله تعالى: ((يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ))العنكبـــوت٥٦. إنّ هذه نعمة أخرى يمنُّ الله تعالى بها على هؤلاء؛ فهو سـيبدّل حـــالهم حـــالاً أخرى؛ وذلك بعد أن يُرِي أعداءه وأعداءهم ما يستحقون على يـــد وليّـــه (ع)، وتتمثل هذه النعمة بسياحتهم في الأرض الواسعة، وكأنّ كلّ ناحيـــة

منها تصبح مباحة ومرحبة بهم مع ملاحظة أنّ ذكر هذه يشعرنا بالمخططات التي وصفها أعداء هؤلاء المؤمنين ونفذوها، وتكمن في التضييق علـــيهم في حلهم (ببلادهم)، وترحالهم في بلاد الغربة. إنّ هذا المعنى ظاهر من ســـياق الآية؛ فهي تدلّ على إباحة كلّ بقعة من بقاع الأرض لهؤلاء لتكون ســـياحة لهم يذكرون الله على كلّ جزء من أجزائها. فالآية ليست بصدد بيان حكم تشريعيّ كما فهم، وقد عبّر عن ذلك العلامة محمّد جواد مغنية بقوله: (على كلّ مسلم بنصّ هذه الآية أن يهجر ويفرّ في أيّ أرض يتعذر عليه أن يفعـــل الواجبات ويترك المحرّمات حتى ولو كانـــت الأرض بلـــده ووطنـــه)(٢٤) وبذلك تظهر للذين آمنوا من العراقيّين نعمة وكرامة بما صبروا وسيأتي قوله تعالى: ((إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ))الزمر ١٠ في الشريعة.

**البشرى الثالثة: يا عبادي... لا تقنطوا من رحمة الله.**

أمّا المورد الثالث من موارد استعمال لفظة (يا عبادي) بدلالـــة الـــذين آمنوا من العراقيّين؛ ممّن هم ممّن صبروا على البلاء، وثبتوا علـــى مـــوالاتهم لأئمتهم وصدّقوا العلامات (الآيات) التي تكون قبيل الظهور وفي أثنائه؛ فهو قوله تعالى: ((قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَـــةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ{٥٣} وَأَنِيبُوا إِلَـــى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ{٥٤} وَاتَّبِعُـــوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنـــتُمْ لَـــا تَشْعُرُونَ{٥٥} أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ{٥٦} أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّـــهَ هَـــدَانِي لَكُنـــتُ مِـــنَ الْمُتَّقِينَ{٥٧} أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَـــرَّةً فَـــأَكُونَ مِـــنَ

الْمُحْسِنِينَ{٥٨} بَلَى قَدْ جَاءتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ{٥٩} وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ{٦٠} وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ{٦١}))سورة الزمر.

ويرد في هذا النصّ طائفة من الألفاظ أظهرت في مواردها الأخرى اقترانها ببيان يوم الظهور وما يتعلّق به؛ إذ ظهرت ألفاظ ذات دلالة على صاحب ذلك اليوم (عليه السلام)، وهي ألفاظ (رحمة الله، والعذاب، وجنب الله). وألفاظ أخرى هي: (يا عبادي، وأن يأتيكم، وبغتة، ولا تشعرون، والمتقين، واسلموا، وحسرتنا) وبعض تلك الألفاظ قد يتعلّق بالولاية؛ والمهديّ ختامها. كما يبرز في هذا النصّ لفظة (حسرة) في يا حسرتا وهي لفظة تعبّر عن الجانب الآخر لذلك اليوم الذي سمّته بعض الآيات الكريمة بـ(يوم الحسرة) وذلك قوله تعالى: ((وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ))مريم٣٩.

إذ جاءت هذه الآية في سياق آيات اختصّت بذكر اختلاف أهل الشام قبيل الظهور؛ إذ تبرز رايات: الأصهب والأبقع والسفيانيّ، على ما روي عن الإمام عليّ (عليه السلام)(٢٥). وذلك قوله تعالى: ((فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ{٣٧} أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ{٣٨} وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ{٣٩})) سورة مريم. وقد لاحظت أن لفظة (أتعد) وغيرها من صيغها الفعليّة؛ بل حتى الصيغ الاسميّة تكون اقتراناً لفظيّاً (أي: مصاحبة لغويّة) مع اليوم الموعود وصاحبه.

وعودة إلى لفظة (حسرة)؛ فقد ظهرت في أربعة موارد استعملت فيها . هذه اللفظة التي بلغت سبعة موارد قرآنيّة ارتباط هذه اللفظة بالظهور ارتباطاً واضحاً، ولقد اقترن نداؤها أي: (يا حسرتنا) في مورده الآخر بذكر الساعة وبغتة؛ قال تعالى: ((قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ))الأنعام٣١، وقد اقترن الجمع منها أي (حسرات) مع أمنية هؤلاء في الكرّة (العودة) إلى سابق حالهم، وذلك في سياق أن يتبرّأ المتبعون من المتبعين عندما يرون العذاب وهم (الذين ظلموا)، وكانت الآيات من الزخرف في البشرى الأولى قد ذكرت اختلافهم، ثمّ (فويل للذين ظلموا).

ومن ألفاظ النصّ القرآنيّ من سورة الزمر (رحمة الله)، ويناظر عدد مرّات استعمالها في القرآن الكريم عدد مرّات استعمال ألفاظ مادّة (قنط)؛ فكلاهما جاءا في ستة موارد(٢٨). علماً أنّ (قنط) اقترنت ببشرى الحق في موردين وهي البشرى لإبراهيم (عليه السلام) التي بشرت بها الملائكة(٢٩). واقترنت في سورة فصّلت بالساعة. والملاحظ أنّ الاقترانات اللفظيّة تتعاضد في إطار رسم صوت ذلك اليوم وصاحبه؛ إذ إضافة إلى ما سبق تظهر (رحمة الله) التي نصّ الله تعالى عن أن يقنط منها الذين أسرفوا على أنفسهم من أهل العراق إذ لهم خاصّة (إن الله يغفر الذنوب جميعاً)، أقول: إن (رحمة الله) خصّ المحسنين بالقرب منها فقال: ((إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ))سورة الأعراف(٥٦)، ويظهر أنّ (قريب) لم تؤنّث لما في دلالة (رحمة الله) من التذكير؛ إذ هي القائم(ع) وتظهر لفظة المحسنين في عدّة

والقيام بمصالح الموجودات(أ٣٧) ولهذا قيل: ربّ الدار، وربّ الفرس لصاحبهما، وجاءت اللفظة دالة على الملك، كما في قوله تعالى: ((وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ))يوسف٤٢. وهو قول يوسف (عليه السلام) لصاحبه الذي نجا من السجن. وجاء في الآية عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قوله: (ربّ الأرض يعني إمام الأرض)(أ٣٨) وجاء عنه أيضاً (إنّ قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربّها)(أ٣٩). ثمّ إنّ الكتاب الذي يكون عند المحاسبة يوم القيامة؛ هو كتاب خاصّ بأعمال ا لعبد واستعمل له لفظة(كتاب) منكرة، ولكلٍّ دلالته.قال تعالى:((وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً{١٣} اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً{١٤}))الاسراء

ومن هنا؛ فإن المجيء بالنبيّين والشهداء سيكون في اليوم المهدويّ؛ وهو كناية عن رجعتهم إلى الحياة في ذلك اليوم الممتدّ في حقبة زمنيّة قد تمتدّ آلاف السنين، وليس هو بدلالة الوحدة الزمنيّة التي نستعملها. فجاء في القرآن (يوم القيامة) الذي لا يُعلم مداه، وجاء قوله تعالى: ((وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ))الحج٤٧، مع ملاحظة ارتباط الآية بالظهور ثمّ ذكر سوق هؤلاء وهؤلاء زمراً؛ والذي يقع بعد ذلك الحساب الدنيويّ، ويعضّد ذلك بأمور ظهرت في ألفاظ هذه الآيات؛ هي:

١-إنّ تتبّع موارد الفعل (ينذر)، وصيغه المختلفة في القرآن الكريم يظهر اقترانها بيوم المهديّ. وتشاركها الصيغ الأسميّة في هذا الاقتران.

٢-قوله تعالى: ((لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا))الزمر٤٧، إذ يومكم هو اليوم الموعود في كلّ مواردها، وكذلك عندما يكون الكلام للغائبين أي: لفظة (يومهم).

٣-ذكر (كلمة العذاب)؛ التي سبق بيان تعلّق دلالتها بالمهديّ(ع).

٤-تُظهر الآية (أ٤٧) من الزمر نهاية هذا المشهد المذكور في الآيات السابقة، وهو قول الذين اتقوا على ما قال تعالى: ((وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ))الزمر٧٤، وألفاظ هذه الآية صريحة في وقوع كلّ ذلك في الدنيا لا يوم القيامة، ومن أوضح ذلك قوله تعالى: ((أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ))؛ فالأرض هذه أرضنا لا غيرها؛ فلا معنى لوراثتهم لها، وقد انتقلوا منها إلى تلك الحياة. ثمّ إنّ تتبّع موارد استعمال الفعل(أَوْرَثَنَا) وغيرها من اشتقاقات المادة (ورِث) يظهر دلالته متعلقة بأنه لا فصل، أو انقطاع ما بين الوارث والموروث منه، ويعني ذلك أنّ دلالة الوراثة تتحقق في الدنيا، وفي أثناء حياة الوارثين ،وكذا أنّ الآيات القرآنيّة واضحة الدلالة في وقوع وراثة الأرض في الدنيا من ذلك قوله تعالى: ((وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ))القصص٥، وقال تعالى: ((قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ))الأعراف١٢٨، وهذا الأمر ينسجم مع ما كان في بحثنا هذا في البشارة الأولى في آيات سورة الزخرف بأنّ الجنّة التي يرثها الذين آمنوا على الأرض لا جنّة القيامة، وجاء قوله تعالى: ((وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ))الأنبياء١٠٥، والعودة إلى الآيات موضوع البشرى الرابعة نجد أنّ الآية الأخيرة من النصّ

ما ان تبدأ الاية الاولى من النص الانف الذكر متى تتـــرادف الايـــات وتترادف الفاظها ليظهر ان النداء مخصوص بقوم يعيشون قبيل الظهور ويرد الذين بعد امنوا(اتقوا) و(أحسنوا) وقوله(إن أرض الله واسعة) وقد ظهـــرت هذه الالفاظ فيما سبق في آيات البشرى(الثانية..في قوله تعالى: ))يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ))(العنكبوت/٥٧) ويظهر أنَ النداء في العنكبوت يشير إلى مترلة أعلى وصل إليها هؤلاء على حين أنَ آية الزمر ههنا تظهر مرحلة سابقة؛ هي أدنى مـــن الـــسابقة ؛لأنَ الخطـــاب في العنكبوت كان نداء من الله(يا عبادي..) في حين في الزمر عبر واسعة(قـــل ياعباد) مع ذكر فعل الأمر: اتقوا. ثمّ جاءت الخاتمة بالجملة:(إِنَّمَـــا يُـــوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ))،ولفظة (الصابرون) من متعلقات ذلـــك البلاء الذي سيعمّ العراق وبغداد الذي ذكرته الآية(١٥٥) من البقرة فيما مضى من البشرى الأولى.

ويُرى في النصّ ذكر اليوم الذي يخشاه كلّ من يعصي الله حتى لو كـــان من خالص أوليائه:((قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَـــذَابَ يَـــوْمٍ عَظِـــيمٍ ))(الزمر/١٣).

وقد استعمل(يوم عظيم) في تسعة موارد سبق في سبعة منها بلفظة(عذاب) أتى من هذه السعة أربعة موارد في وقوع عذاب استأصل أقواماً ما عصت أنبياءها؛ وهم(نوح، وهود، وصالح، وشعيب، عليهم السلام): ممّا يعني أنّـــه أتى بدلالة: ما يحلّ بالجماعات لا الأفراد من عذاب عقاباً لهم على معـــصية أولياء المنذرين. ومن ثمّ؛ فإنّ بقيّة الموارد التي تخصّ هذه الأمّة تذكر عـــذاباً سيقع في مستقبل أيّامها يستأصل العصاة والمجرمين من هذه الأمّة.

وسبق أن تكفلت بعض بحوثنا تفصيل هذا الوضع(٣٠).

وتُوقفنا الآية (١٥) من النصّ موضع البشرى عند لفظة (أهليهم)، وهم ممّا فسّره هؤلاء يوم القيامة؛ ويظهر أنّ ذكرهم سيراد الإيحاء بأمرٍ ما؛ إذ الحال في يوم القيامة أن يفرّ المرء من أمّه وأبيه وصاحبته وبنيه لكلّ امرئ منهم شأن يُغنيه(٣١) .

فما الذي أوحته هذه الآية في خصوص يوم المهديّ

وأقول: إنّ هذا الأمر يوحي بما ذكرته الآيات من سورة الزخرف الخاصّة بالبشرى الأولى؛ وذلك قوله تعالى: (( ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ))الزخرف ٧٠

إذ ربح هؤلاء مع أنفسهم أزواجهم وأُبيحت لهم الجنّة بمزيد من كرامة الله، على عكس ذلك الفريق الذي يسخر نفسه وأهله في ذلك اليوم. ومن ههنا جاءت بعض آيات النصّ المزبور لتذكر خصيصة مهمّة للفوز بهذا اليوم ويوم القيامة، وتلك الخصيصة هي اجتناب عبادة الطاغوت. وتأتي لفظة(الطاغوت) بدلالة قرآنيّة؛ هي من نصّب نفسه إماماً وليّاً للأمر في مقابل من اختارهم الله تعالى أئمّة؛ فمن أطاعهم فقد عبدهم، ومن عصاهم واجتنبهم كان مطيعاً لله تعالى واستحق الفوز في الدنيا ويوم القيامة؛ وقد قال تعالى: (( وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ))البقرة٢٥٧

قال جعفر بن محمّد (عليه السلام): (فأيُّ نورٍ يكون للكافر فيخرج منه، إنّما عنى بهذا أنّهم كانوا على نور الإسلام، فلمّا تولوا كلّ إمام جائر ليس من

الله خرجوا بولايتهم إيّاهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر فأوجب الله لهم النار مع الكفّار)(أ٣٢)

وكانت تلك عبادة الطاغوت إذ أتّبعوهم فيما أحلّوا وحرموا من دون الله فاتّباعهم في ذلك وكانوا هم أرباباً من دون الله وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ((اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ))التوبة٣١

يروى في ذلك (أنّ عَدِيّ بن حاتم قال لرسول الله: لسنا نعبدهم، فقال له: أليس يحرّمون ما أحلّ الله لتحرمونه، ويحلّون ما حرّم الله فتستحلونه، قال: بلى، قال النبيّ(صلّى الله عليه وآله وسلّم): فتلك عبادتهم)(أ٣٣)

ويبرز في قبالة عبادة الطاغوت (أئمّة الجور) لفظة (هداهم) للذين اجتنبوا تلك العبادة ممّا يعني أنّ اللفظة متعلّقة بالتمسّك بولاية (أئمّة الحق)، وجاء في ذلك كثير من الآيات، بل إنّ بعض ذلك اقترن صراحة بطاعة المهديّ في آخر الزمان؛ ففي قوله تعالى: ((فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى))طه١٣٥

جاء عن موسى بن جعفر (عليه السلام) قوله: (الصراط السويّ هو القائم والهدى من اهتدى إلى طاعته)(أ٣٤) ، وجاء عن جعفر بن محمّد (عليه السلام) في الآية: ((إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ))الرعد٧، قوله : (كلّ إمام هادٍ للقرن الذي هو فيهم)(أ٣٥)

إذاً فإنّ من أوصاف (يا عبادي) الدلالة على المتمسّكين بولاية إمامهم المهديّ؛ فهو صاحب أمرهم، وزمانهم، ويكون (لهم البشرى فبشّر عبادِ)

وقال تعالى: ((وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ))البقرة١٥٥، وتظهر في سياق الآيات (كلمة العذاب)؛ وقد تقدّم أنّ (العذاب) معرّفة بأل في هـذه الأمّـة دالّ علـى المهديّ(ع) للذين كفروا، أمّا لفظة (كلمة)(أ٣٦) فقد وردت في القـرآن الكريم بدلالة الشخص الذي اجتباه الله: فكانت لعيسى (عليـه السـلام). واقترنت بلفظ(يُبشرك) قال تعالى: ((إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَـرْيَمُ إِنَّ اللّـهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ))آل عمران٤٥. فـ(كلمة العـذاب) ذات دلالـة علـى الشخص المختار؛ ليكون نقمة على المجرمين، وهي دلالة تتناسب مع المهديّ، وأثره في تأسيس دولة الحق، والقضاء على حكم الشياطين والطواغيت. وقد وردت هذه التسمية في موضع آخر في السورة نفسها؛ وذلك هـو قولـه تعالى: ((وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُـونَ عَلَـيْكُمْ آيَـاتِ رَبِّكُـمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَـذَابِ عَلَـى الْكَافِرِينَ))الزمر٧١، إنّ التأمّل في هذا الموضع، وألفاظـه يظهـر ارتبـاط أحداثه باليوم الموعود، وهو غير ما ذهب إليه المفسّرون من حدوث ذلك في يوم القيامة. يبدأ هذا المشهد من الآية السابقة؛ وهي قوله تعالى: ((وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء وَقُـضِيَ بَيْـنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ))الزمر٦٩.

إذ إنّ الأرض تشرق بنور الإمـام، إذ تـرد كلمـة (ربّ) في بعـض استعمالاتها منسجمة مع هذه الدلالة ؛نظراً إلى أنّ دلالتها تتأسّـس علـى معناها اللغويّ الناظر إلى الرعاية والتربية، وإنشاء الشيء؛ حالاً بعد حـال،

موارد عند الكلام عن الظهور؛ ثمّ إنّ من طلب الكرّة أي: العودة إلى ما كان عليه يرغب في أن يكون منهم، ثمّ إنّ لفظة (قريب) صاحب الساعة بقوله تعالى: ((وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً))الأحزاب(٦٣)، وقال أيضاً: ((اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ))سورة القمر(١)، وجاءت مع لفظة أخرى من ألفاظ اليوم الموعود؛ وذلك في قوله تعالى: ((وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ)) سورة الأنبياء(٩٧).

وبالجملة فإنّ لفظتي (قريب واقترب) اقترنتا بهذا اليوم.

ومن ههنا فإنّ تتبّع هذه الألفاظ في كلّ مواردها يظهر شبكة من الألفاظ القرآنيّة الخاصّة بذلك اليوم، وصاحبه المنتظر، وهي تستغرق جزءاً عظيماً من آيات القرآن الكريم، وهي ثمرة بحوث عدّة أسّست على(مبدأ عدم الافتراق وتفسير القرآن بالقرآن) المذكورين في التوطئة المنهجيّة لبحثنا هذا.

فيما يجدر التنبه عليه في خاتمة النصّ المزبور موضع البشرى الثالثة؛ أنّ الآية (٦١) ابتدأت بقوله تعالى: (ويوم القيامة) ممّا يعني أنّ المواقف التي تناولتها الآيات السابقة ستقع قبل ذلك اليوم، وماذاك إلا يوم الاستخلاف والتمكين كما ظهر من قريب.

**البشرى الرابعة: انّما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**

يرد في هذه البشرى ذكر لفظة(ياعباد) مرّتين وفيه تأكيد لما مضى من البشريات(الثالثة آنفة الذكر). فورود هذه البشرى: قوله تعالى:((قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ

وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ(١٠) قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ (١١) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣) قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي(١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١٥) لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (١٦) وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ (١٨) أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ(١٩) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (٢٠)(الزمر ١٠ــ ٢٠).

وفي النصّ طائفة من الألفاظ التي كوّنت اقترانات لفظيّة(مصاحبات لغويّة) مع يوم الاستخلاف صاحبه وعاقبه ذلك على الناس. ومن هذه الألفاظ:(الذين امنوا/ صابرون/ عذاب يوم عظيم/ العذاب/ وعد الله/ لا يخلف الله الميعاد)؛ فضلاً على ذلك كفة أخرى من الألفاظ والتثبت لامجال لها الآن. ثمّ إنّ لفظة(ياعبادي) أضحت من جملة ألفاظ هذا اليوم، والبحث ههنا بصدد تأكيد ذلك، وتأكيد انطباق دلالتها على المؤمنين أهل العراق خاصّة. وكذا أجواء الآيات كلّها بألفاظها وتركيباتها تظهر انسجام دلالاتها واقترانها بيوم الاستخلاف؛ وهي تبتدئ في الآية(٩) بذكر صاحب هذا اليوم، والقائد الأعلى؛ فالولاية به، وهو الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) على ما ذكر في تنزيلها.

ترد فيها ألفاظ (الذين اتقوا، ووعد الله) ثمّ جاء قوله تعالى: ((وَعْدَ اللَّهِ لَـا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ))الزمر٢٠، الذي كوّن مع ألفاظ (الوعد) بلفظة (ميعاد) في (سبأ ٣٠-٣١).

علماً أنّ لفظة (ميعاد) بلغ مجموع استعمالها في القرآن (٦أ) مرّات؛ كلّها في يوم المهديّ(ع)؛ أوّلها ذكراً في القرآن قوله تعالى: ((رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ))آل عمران٩، فهذا هو يوم المهديّ في حين عندما أراد الله تعالى يوم القيامة ((لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ))النساء٨٧، الأنعام١٢، ومثلهما في سورة الجاثية آية(أ٢٦). فجاء بلفظ (يوم القيامة) وبعده حرف جرّ (إلى) على حين عندما لم يذكر هذا اللفظ استعملت اللام بدل (إلى) كما في الآية من آل عمران. وكذلك قوله تعالى: ((إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ))آل عمران٢٥، وممّا يعضد هذه الدلالة للفظة الميعاد، وارتباطها باليوم المنتظر؛ ما جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) عندما جرى الحديث إلى ذكر السفيانيّ: (وما جاء في الرواية من أنّ أمره من المحتوم، فقلت لأبي جعفر: هل يبدو لله في المحتوم؟ قال: نعم. قلنا له: فنخاف أن يبدو لله في القائم! فقال: إنّ القائم من الميعاد، والله لا يخلف الميعاد)(أ٤٠) ولكون الجملة الأخيرة مطلقة من دون تخصّصها بموضع محدّد في القرآن يدعوننا إلى القول بأنّ هذه الجملة قد خلصت باختصاصها بأمر المهديّ(ع).لذين آمنوا بآياتنا من الأوصاف التي ذكرتها آيات سورة الزخرف لمن كانت لهم هذه البشريات (أي ياعبادي) قوله تعالى بعد أن نفي خوفهم وحزنهم :

((الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ))[ الزخرف٦٩]

ففي حين كان قوله : (( يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا... )) [ العنكبـــوت٥٦] فأطلقت جهة هذا الفعل حُدّد هنا بخاصّيّة ( آمنوا بآياتنا ) وهو تقييد يظهر تحديداً آخر لهؤلاء المنادين بهذا النداء الخاصّ ؛ لتتمّ صورة تعاملـــهم مـــع أحداث الظهور المقدّس. ويكمن ذلك في أن دلالة (آياتنـــا) تتوجّـــه نحـــو العلامات التي تأذن باقتراب تحقيق الوعد الإلهيّ فيما عرف بـــ (علامـــات الظهور) . وتبرز هذه الدلالة القرآنيّة من مورد آخر؛ وهو قوله تعالى :

(( سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَـــاقِ وَفِـــي أَنفُـــسِهِمْ حَتَّـــى يَتَبَـــيَّنَ لَهُـــمْ أَنَّـــهُ الْحَقُّ))[فصلت٥٣]

إذ سُئل محمّد بن عليّ الباقر (عليه السلام) عنها؛ فقال :

((يريهم في أنفسهم المسخ، ويريهم وفي الآفاق انتقاص الآفاق عليهم؛ فيرون قدرة الله في أنفسهم وفي الآفاق . وقوله (حتى يتبيّن لهم أنه الحقّ) يعني بذلك خروج القائم؛ هو الحق من الله عزّ وجلّ يراه هذا الخلق لابدّ منـــه))(٤١١)

وجاء في ذكر أجواء المهديّ وعلامة النجم المذنّب قوله تعالى :

(( وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ))[التكوير٢٣]

وخروج هذا النجم من العلامات الكونيّة المهمّة قد ربط صـــاحب الطـــور المهدويّ بخروجه تحقق العلامات الكونيّة الخاصّة بالظهور؛ فهو بمنزلة الخيط الناظم للخرزات؛ فإذا انقطع سقطت الخرزات متتابعة الواحدة تتبع الأخرى (٤٢١).

ومن هنا؛ فإنّ إضافتها إلى الضمير (نا) الدالّ على الجماعة تعني أنّ تلك الآيات يرجع حدوثها لقوى إلهيّة متحكمة في هذا الكون، قد تتمثل بالملائكة الموكلين بإيقاعها .

ووردت هذه اللفظة في غير ما موضع مرتبطة أجواؤها باليوم الموعـــود؛ من ذلك ماجاء في قوله تعالى في ذكر موقف بعض المعاندين :

(( كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً *سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً*إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ* قُتِـــلَ كَيْـــفَ قَدَّرَ* ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّر (( [ المدثر ١٦ــ ٢٠]

قال جعفر الصادق (عليه السلام ): ( عذاب بعد عذاب يعذبه القائم عليـــه السلام)(٤٣١)

وقد وردت هذه اللفظة (أي : آياتنا ) في موارد عدّة أبرزها جـــاء مقترنـــاً ببعض العلامات، ثمّ مقترنة بالحشر الخاصّ لجماعة بعينها؛ وذلك بقوله تعالى:

(( وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُـــم مُّسْلِمُونَ*وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُـــمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ* وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِّمَّن يُكَـــذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ))

[النمل ٨١ــ٨٣]

ثمّ يأتي ما يوضح أنّ هذا الحشر يقع في الدنيا لا غيرها؛ وذلك بقوله تعـــالى بعد الآيات في أعلاه :(( وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِـــي الـــسَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ )) [ النمل٨٧]

زيادة على أنّ حشر يوم القيامة يكون حشراً عاماً لا من كل امـــة فوجـــاً، وذكر الحشر العام بقوله تعالى (( وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً))[الكهف٤٧]

وقال تعالى (( وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّـــذِينَ أَشْـــرَكُواْ أَيْـــنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ))[ الأنعام٢٢]

وغير ذلك ويظهر أنّ هناك من سيرجع إلى هذه الدنيا؛ ليحشر ويحاسب، وأنّ هؤلاء ممن أنكر أمر المهديّ (عجّل الله فرجه) وكذب بما أخبر رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلّم )من وقوع الآيات الدالة على قيام دولة الاستخلاف والمستضعفين .

إنّ الإطلاق في قوله ( من كلّ أمّة ) يشمل الأمم جميعاً؛ سواء من الماضين ،أم من الحاضرين وقت الظهور وقوله (ممّن يكذب) باستعمال الفعل على (يفعل) يؤكد ذلك؛ إذ جاء دالاً على الاستمرار في الشيء، والبقاء عليه . ويعني ذلك أنّ الحشر ههنا سيشمل جماعة من الأموات (٤٤١) وجماعة من الأحياء، ويظهر ممّا تقدّم؛ أنّ اقتراناً بدأ بين لفظة ( آياتنا )،ولفظة(مسلمين )،ومنها قوله تعالى :((إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ )) [ الروم٥٣]

ويلاحظ أنّ هذه اللفظة ذات دلالة؛ هي أعلى درجات العلاقة بالله تعالى، كما في قوله تعالى بدعوته لتقواه :

((اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)) [ آل عمران١٠٢]

إنّ هذا الاقتران يجعل من الإيمان بـ(آياتنا) وهي علامات الظهور، وتصديقها أعلى درجات اتباع الله، والتسليم لأمره تعالى؛ وهل الإسلام إلا التسليم لإرادة الله (٤٥) .

مع النظر إلى أنّ مجيء(كانوا) الدالة على المضيّ تبيّن أنّ هؤلاء ممن اختار هذا المسلك قبل وقوع العلامات. وبهذا المعنى جاء عن الإمام الصادق(عليه السلام) في النداءين قبيل الظهور؛ أحدهما لجبرائيل، والآخر

لإبليس؛ وكيف سيعرف المحق منهما؛ إذ قال:(( يعرفها ( أي: صيحة جبرائيل ) من كان سمع بها قبل أن تكون))( ٤٦ )

ويبيّن النصّ الآتي أدنى منازل هؤلاء عند ربّهم، وكرامتهم عنده؛ إذ يناديهم بما جاء في الحديث القدسيّ من قول الإمام الصادق (عليه السلام) :

(( يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم ؛ فيا طوبى للثابتين على أمرنا في ذلك الزمان، إنّ أدنى مايكون لهم من الثواب أن يناديهم الباري جلّ جلاله؛ فيقول : عبادي وإمائي آمنتم بسرّي، وصدّقتم بغيبي؛ فأبشروا بحسن الثواب منّي فأنتم عبادي وإمائي حقاً، منكم أتقبّل، وعنكم أعفو ولكم أغفر، وبكم أسقي عبادي الغيث وأدفع عنهم البلاء؛ ولولاكم لأنزلت عليهم عذابي ...))(٤٧) .

فإذا كان هذا أقلّ ثوابهم؛ فكيف يكون أكثره ؛ولاسيّما تفرّدهم بالقبول والعفو والغفران من الله لمكان تقديم الجارّ والمجرور على الفعل في (منكم أتقبّل وعنكم أعفو ...) ثمّ هم أمان لبقية عباده .

يلاحظ أنّ الحديث القدسيّ استعمل لفظتين لـ (عبادي)؛ أولاهما كانت بدلالة ماتقدّم ممّن أدنى ثوابهم المنسجمة مع ماجاء من الدلالة القرآنيّة لـ (ياعبادي ،ويظهر أنّ الفعل (يناديهم ) المذكور في النصّ قام مقام أداة النداء في اللفظة القرآنيّة . أمّا ثاني اللفظتين؛ فتظهر مفردة (عبادي) ؛ وهي بدلالة مغايرة للأولى؛ إذ لولا الأوّلون لأنزل الله عذابه على هؤلاء. ثمّ إنّ ماجاء في الحديث القدسيّ يشتمل على شيء ممّا ذكر في الآية من الزمر بقوله: ((لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ((فهي خاصّة لهم دون غيرهم في حين جاء قوله تعالى :

(( إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً )) [ النساء١١٦]

وهي عامّة لسائر خلقه من غير المشمولين بلفظة ( ياعبادي).

**خليل الرحمن يطلب المغفرة لأبيه**

تبرز في حياة نبيّ الله ابراهيم (عليه السلام) ظاهرة جديرة بالتأمّل في ضوء بحثنا هذا، وخصوصيّة أهل العراق في اليوم الموعود، تلك الظاهرة هي الدعوة الإبراهيميّة لأبيه الذي كان عاكفاً على عبادة الأصنام التي يصنعها؛ قال تعالى :

((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ* قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ )) [الشعراء٦٩ــ٧١]

ويستطرد النصّ إلى إبراهيم الذي طفق يذكر نعم الله عليه ليمهّد بعد ذلك للدعوة إلى نفسه بمزيد من فضل الله في يوم لاحق ؛هو (يوم الدين)، وهو اليوم الذي سيكون فيه دين الحنيفيّة الإبراهيميّة قد ظهر بأوسع ظهور له، ويكون دين الله هو شريعة الحاكم

( الإمام العادل ) والمحكوم قال تعالى :

(( الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ* وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ* وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ )) [الشعراء٧٨ــ٨٢].

ويبدو أنّ الآية (٨١) تشير إلى دراية إبراهيم بالرجعة إلى الحياة، وأنّه ممّن سيرجع ؛ ولهذا كان مطلبه بالغفران في ذلك اليوم، وهو يوم حفيده المهديّ

(٤٨١) .وجاء استعمال حرف العطف (ثمّ) ليدل على تتابع الفعلين، وبينهما تراخٍ يُعبّر عن الحقبة مابين الموت والرجع إلى الدنيا .

ثمّ جاء قول إبراهيم (عليه السلام ) ودعوته لمزيد من الفضل الإلهـيّ ؛ قال تعالى: ((رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ*وَاجْعَل لِّـي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ* وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ))[ الشعراء٨٦ــ٨٩]

والألفاظ تؤكد ارتباط دلالتها باليوم المهدويّ ؛ ثمّ يأتي قوله تعالى:

((وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ* وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ*يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)) [الشعراء٨٦ــ٨٩]

إنّ ذكر (يوم يبعثون) يوضح أنّ ما مضى متعلق باليوم المهـدويّ، وأنّ دعاء إبراهيم لأبيه سيقع في ذلك اليوم، وأنّه ادّخره لخصوصيّة هذا اليـوم؛ ويتضح من ألفاظ الجملة التي دعا بها إبراهيم (ع) لأبيه؛ أنّه سلك مسلكاً يجب التأمّل فيه؛ إذ نلاحظ أنّ الجملة اشتملت على (إنّ) وهو حرف توكيد و(كان) الدالة على مامضى فالحدث؛ فاتصاف أبيه بالضلالة ثابت ومؤكد .

ويظهر أنّه يمكن النظر إلى هذه الطريقة من طبيعة ذلك اليوم، وما فيه مـن مظاهر الرحمة الإلهيّة بالمؤمنين من أهل العراق كان أمل الخليل (عليه السلام) ههنا أن تشمل هذه الرحمة أباه؛ إذ هو من أهل هذا البلد ؛ فهو من أهـل بابل .

وإلا فإنّ أمر أبيه آزر ( وهو ليس والده ) كان واضحاً منذ البدء لكونه عابداً للأصنام ، لكن نبيّ الله (عليه السلام) وعده بطلب المغفرة له؛ لمّا علم من أمر هذا اليوم الموعود، وأمر هذا البلد. ولكن تبيّن ــ فيما بعـد ــ أنّ هذا الشخص ينطلق من عبادته الأصنام بالعداء لله تعالى لا لضلالته المجرّدة

عن طريق الهدى وتعصّبه لما ظنّ كونها آلهة تعبد، أو تعنته من أن يأخذ من ولده دينه، ويكشف له ضلالة معتقده، بل يبدو أنّ الأمر عند آزر أبعد من ذلك، ولهذا تبرّأ منه إبراهيم (عليه السلام)وذلك قوله تعالى:

((وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأوَّاهٌ حَلِيمٌ)) [التوبة١١٤]

مع ملاحظة ورود لفظتين اقترنت بعض صيغها بذلك اليوم؛ وهي (موعدة وعدها).

## الأخيار من أهل العراق

تبرز عند أهل هذا البلد ظاهرة تنسجم مع ماتقدّم في هذا البحث، وفيها من إنصاف المؤمنين من أهله الشيء الكثير، وتتمثل هذه الظاهرة فيما جاء من الروايات التي تذكر أنصار المهديّ(عليه السلام) وصحابته، وهم وزراؤه عدّة أهل بدر، وحكام أقطار الأرض، ويذكر للعراقيّين منهم صفة (الأخيار)، ونذكر من تلك الروايات ما يأتي :

١١ــ (( الأبدال في الشام، والنجباء من أهل مصر، والأخيار من أهل العراق))

٢١ــ (( الأبدال من أهل الشام، والنجباء من أهل الكوفة يجمعهم الله لشرّ يوم لعبدنا))

٣١ــ((يبايع القائم بين الركن والمقام ثلاثمائة ونيّف عدّة أهل بدر فيهم النجباء من أهل مصر، والأبدال من أهل الشام، والأخيار من أهل العراق...))

ووصفوا في مواضع أخرى بالعصائب والرفقاء من أهل العراق، أو الكوفة، وجاء أيضاً الفقهاء في العراق، والمجتهدين في البصرة.

ويظهر بعض التسميات منحًى جماعيّ لأهل هذا البلد في إطاعة إمامهم، ونصرته وهو ما لا يفهم من لفظة الأبدال،ولفظة النجباء. ويُلفت نظرنا ههنا أنّ لفظة الأخيار من الألفاظ القرآنيّة التي وصف بها الأنبياء خاصّة؛ وذلك في آيتين متتابعتين

قال تعالى :

(( إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ* وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ*وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ* هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ))[ص٤٥ــ٤٩]

إذا كانت هذه الصفة لأبي الأنبياء إبراهيم (عليه السلام) ، ومعلوم أنّ ولادته، ونشأته في العراق بأرض بابل، ويلتحق به ولداه إسحاق وإسماعيل؛ وهذا قبر نبيّ الله ذي الكفل في مدينة الكفل التي سمّيت على اسمه .

تذكر بعض الأخبار أنّ عبد الله بن عمر نقل لأهل الكوفة قوله :أنّهم أسعد الناس بظهور المهديّ وتشير الأخبار الواردة عن أئمّة أهل البيت كون الكوفة، ولاسيّما مسجدها الأعظم عاصمة مُلك المهديّ (عليه السلام) وأنّ منزل أهله سيكون في مسجد السهلة، وسيأتي عليها في تلك الأيّام لتصبح المدينة الأولى في العالم ؛

ويبدو أنّ هذه النعمة العظيمة بجوار الإمام المهديّ(عليه السلام) لأهل العراق يعطي صورة لبعض تلك النعم التي ستعمّ هذا البلد وأهله في زمن ينتظره المؤمنون من أهل العراق منذ أوّل أيّام إدراكهم في طفولتهم ويدعون له بقولهم :

(( اللهمّ كن لوليّك الحجّة بن الحسن المهديّ في هذه الساعة، وفي كلّ ساعة وليّاً وحافظاً، وقائداً، وناصراً ، ودليلاً، وعيناً ؛ حتى تسكنه أرضك طوعا ، وتمتعه فيها طويلا، وهب لنا رحمته، ورافته إنّك على كل شيء قدير ))

خاتمة البشرى

خلصنا في بحثنا هذا في ضوء المنهج المقترح للكشف عن الدلالات القرآنيّة للألفاظ إلى أنّ لفظة ( يا عبادي أو يا عباد ) ذات دلالة قرآنيّة تعني المؤمنين من أهل العراق من سيبتلى بذلك الخوف التي لن ينتهي إلا على اقتراب الظهور المذكور في سورة الزخرف والمذكور في سورة البقرة مع مظاهر أخرى للابتلاء يعقبها وقوع البشرى للصابرين . فكان ذلك أوّل مواضع تلك البشرى .

وقد أظهر تتبّع موارد هذه اللفظة تأكيداً لدلالتها القرآنيّة السابقة . وجرى في أثنا البحث الإفادة من ظهور طائفة من الألفاظ كوّنت ( اقترانات لفظيّة ) تظهر في موارد ذكر اليوم الموعود، وصاحبه المنتظر( عليه السلام)، وتلك الألفاظ هي :ـــ

( آياتنا ،والساعة، والعذاب، ويستعجل، ونعيش، ويا حسرتا، وبغتة، والمتقون، ويومكم الذي توعدون، والوعد، واقترب، وقريب، ولا يخلف الله الميعاد )

وغيرها من الألفاظ التي تجنّب البحث الاستطراد في ذكر مواردها القرآنيّة خوف الإطالة .

## الهوامش

١ــ ينظر : مفهوم الجملة عند سيبويه : ١٢ .وفقه اللغة العربية : ١٤.

٢ــ صحيح الترمذيّ :٢/٣٠٨١وروي الحديث بأسانيد وطرق عدّة . ويكاد يكون متواتراً بل هو متواتر فعلاً إذا لوحظ مجموع رواته من الشيعة والسنّة في مختلف الطبقات .رواه كلّ من صحيح مسلم ، وسنن الدارميّ، وخصائص النّسائيّ، وسنن أبي داوَد، وابن ماجة، ومسند أحمد، ومستدرك الحاكم وذخائر الطبريّ وحلية الأولياء ، وكنز العمال وغيرهم من مفسّرين ومؤرخين ومترجمين ولغويّين .

ينظر: علوم الحديث : ٢٩٥،البيان في تفسير القرآن: ٥٠١، أصول التفسير والتأويل : ١١٩.

٣ــ ينظر : مفهوم الجملة عند سيبويه : ٢٢٣.

٤ــ نشر مركز الشهيدين الصدرين للدراسات والبحوث بقسمين ٢٠٠٧ ملحقاً مستقلاً بمجلة (سبيل ) التي يصدرها المركز .

٥ــ بحار الأنوار : ٥٢/٢٦٩.

٦ــ غيبة الطوسيّ : ٢٧٢١.

٧ــ غيبة النعمانيّ : ٢٦٠.

٨ــ مختصر بصائر الدرجات : ٣٩٨ــ٣٩٩.

٩ــ ينظر: معاني النحو : ١/٣٩١وما بعدها .

١٠ــ الموت السريع، عن مختار الصحاح: ٢٢١(ذرع)، ولعلّ المذابح التي يشهدها العراق من قتل، واختطاف، وسيارات مفخخة، وعبوات متفجرة؛ مصداق لهذا الموت .

١١ــ غيبة النعمانيّ : ١٢٦، إلزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب .٢/١٥٨.

٣٠ــ وهو: اختلاف أهل الشام وبروز السفياني؛ غير منشور.

٣١ــ ينظر الآيات ٢٤ــ٢٧من سورة عبس.

٣٢ــ غيبة النعماني : ١٣٢.

٣٤ــ التفسير المبين : ٢٤٦. ومثله في تفسير القمّيّ ١/٢٨٨.

٣٥ــ ذلك يوم الخروج : ٧٤.

٣٦ــ غيبة النعماني : ١٠٩.

٣٧ــ ينظر :آل عمران ٣٩في يحيى (بكلمة من الله )، والنساء ١٧١في المسيح (رسول الله وكلمة ). وفي آل الشورى ٣٤(ويحق الحق بكلماته) (( يعني بالنبيّ وبالأئمة والقائم من آل محمّد )) تفسير القمّيّ ١/٢٤٨.

٣٨ــ المفردات في غريب القرآن : ١٩١.

٣٩ــ تفسير القمّيّ : ٢/٢٢٤،المحجّة فيما نزل في القائم الحجّة : ١٩٨.

٤٠ــ المحجّة فيما نزل في القائم الحجّة : ١٩٨ــ١٩٩.

٤١ــ غيبة النعمانيّ : ٣١٥.

٤٢ــ غيبة النعمانيّ : ٢٧٧، المحجّة فيما نزل في القائم الحجّة : ٢٠١ــ٢٠٢.

٤٣ــ ينظر : الطور المهدويّ ( طور الاستخلاف).

٤٤ــ الكافي ١/٣٤٣ ح٣٠٠،غيبة الطوسي ١٦٤ح١٢٦،غيبة النعمانيّ : ١٩٣.

٤٥ــ هذا هو المفهوم من عقيدة الرجعة الإمامية .

٤٦ــ جاء في نهج البلاغة من أقوال أمير المؤمنين (ق١٢٥):((لأنسبن الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي :الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين ،واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار،والإقرار هو الأداء ،والأداء هو العمل)) .

٤٧ــ غيبة النعمانيّ : ٢٧٤.

١٢ــ ينظر : سقوط الفخارة فرج لأمّة محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : القسم الثاني ٤٧ــ٥٨.

١٣ــ مئتان وخمسون علامة : ١٠٣.

١٤ــ الإرشاد : وينظر : عصر الظهور: ١٤٦.

١٥ــ غيبة النعمانيّ : ٧٢.

١٦ــ غيبة النعمانيّ : ٢٤٧.

١٧ــ الكافي ١/٤٣١، وينظر: ذلك يوم الخروج : ٨٢.

١٨ــ المحجّة فيما نزل في القائم الحجّة :

١٩ــ بحار الأنوار : ٥٣/٢،المحجّة فيما نزل في القائم الحجّة ٢١٧.

٢٠ــ غيبة النعمانيّ : ٢٠٤.

٢١ــ الكافي : ٨/٥٠ ، المحجّة فيما نزل في القائم الحجّة : ٢٦١،ذلك يوم الخروج : ٨١.

٢٢ــ ينظر: الدلالة القرآنيّة للفظة تأويل : بحث غير منشور .

٢٣ــ غيبة النعماني : ١٣٢.

٢٤ــ التفسير المبين : ٥٢٨.

٢٥ــ ينظر غيبة النعمانيّ : ٢٦٠.

٢٦ــ ينظر : اختلافأهل الشام وبروز السفيانيّ :، بحث غير منشور .

٢٧ــ هي حسرة في :آل عمران ١٥٦١، والأنفال ٣٦، ومريم٣٩،ويس ٣٠، الحاقه ٥٠، وياحسرتي الزمر ٥٦، وياحسرتنا الأنعام ١/٣١.

٢٨ــ ورحمة الله في : البقرة ٢١٨،آل عمران ١٠٧، والأعراف ٥٦، وهود ٧٣، والروم ٥٠، والزمر ٥٣.

قنط في : الحجر ٥٥، ٥٦، والشورى ٢٨، والزمر ٥٣، والروم ٣٦، وفصلت ٤٩.

٢٩ــ في الحجر ٥٥و٥٦.

٤٨ــ ذلك يوم الخروج :١٨٦.

٤٩ــ إنّ دلالة الإضافة في (يوم الدين ) تجعل من ذلك اليوم؛ يوم الظهور الدين لم يكن مثله فيما سبق. وماذاك إلا لكونه الدين القانون الأعلى للحياة على الأرض ولا معنى ــ في ضوء هذا ــ للقول بأنّ يوم الدين هو يوم القيامة .ومن المعلوم الدين هو العمل ، وليس في القيامة عمل إنما هو الحساب . ويظهر أنّ أوّل من تنبّه على هذه الدلالة عالم سبيط النيليّ في كتابه : الطور المهدويّ ٣٦٧وما بعدها .

وجاء عن أبي عبد الله الصادق (ع) في قوله تعالى (( وكنا نكذب بيوم الدين...) ( المدثر ٤٦ )قوله :( فذلك يوم القائم (ع) وهو يوم الدين ). عن الحجّة فيما نزل عن القائم الحجّة :٢٧٨.

٥٠ــ المهديّ في العراق :١١٧ .

## مصادر البحث


١ــ القران الكريم

٢ــ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم /محمّد فؤاد عبد الباقي / مطبعة /أميران منشورات ذوي القربى/ إيران/ط٢/ ١٤٢٣هـ.ق ــ ١٣٨١هـ.ش.

٣ــ الإرشاد .

٤ــ أصول التفسير والتأويل / كمال الحيدريّ /دار فراقد/ مطبعة ستاره/ إيران /ط٢/ ١٤٢٧هـ ــ ٢٠٠٦م .

٥ــإلزام الناصب في إثبات الغائب /علي اليزديّ الحائريّ / مراجعة وتصحيح فالح عبد الرزاق العبيديّ/ دار أنوار الهدى / مطبعة مهر / إيران / ط١/ ١٤٢٦هـ .

٦ــ بحار الأنوار .

٧ــ البيان في تفسير القرآن (المدخل) / أبو القاسم الموسويّ الخوئيّ / مؤسّسة إحياء آثار الإمام الخوئيّ /إيران / ط٣٠/١٤٢٤هـ ــ٢٠٠٣م.
٨ــ تفسير القمّيّ / أبو الحسن عليّ بن إبراهيم القمّيّ (ق٣هـ )/ نشر دار الحجّة / مطبعة كيميا / إيران / ط١/١٤٢٦هـ .
٩ــ التفسير المبين / محمّد جواد مغنية / دار الكتاب الإسلاميّ / مطبعة ستاره / إيران / ط٤ / ١٤٢٦هـ ــ٢٠٠٥م.
١٠ــ ذلك يوم الخروج / حسين المدرّسيّ / مؤسّسة أنصاريان للطباعة والنشر / مطبعة ثامن الأئمّة / إيران /ط١/ ١٤٢٦هـ ــ٢٠٠٥م.
١١ــ الطور المهدويّ (طور الاستخلاف)/عالم سبيط النيليّ / دار المحجّة البيضاء / بيروت /ط١/ ١٤٢٤هـ ــ٢٠٠٣م.
١٢ــ عصر الظهور /عليّ الكنوراني العامليّ/ مكتبه فدك/ إيران /ط٧/١٤٢٤هـ .
١٣ــ علوم الحديث/ محمّد باقر الحكيم / مؤسّسة شهيد المحراب / النجف/ط١/١٤٢٦هـ ــ٢٠٠٥م.
١٤ــ غيبة الطوسيّ / .
١٥ــ الغيبة النعمانيّ / أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم بن جعفر × ابن أبي زينب النعمانيّ ) / تحقيق : فارس حسّون كريم /أنوار الهدى / مطبعة مهر / إيران / ط١/١٤٢٢هـ .
١٦ــ الكافي .
١٧ــ مئتان وخمسون علامة في ظهور الإمام المهديّ / محمّد عليّ الطباطبائيّ الحسينيّ / مؤسّسة البلاغ / دار سلوني /بيروت/ط١/١٤٢٤هـ ــ٢٠٠٣م.
١٨ــ المحجّة فيما نزل في ا لقائم الحجّة / المحدث هاشم البحراني / تحق ـ ـ طالب الزكيّ / نشر دار المودّة / مطبعة بقيع /إيران /ط١/ ١٤٢٧هـ

١٩ــ مختار الصحاح / محمّد بن أبي بكر عبد القادر الرازيّ / دار الرسالة / الكويت / ١٤٠٣هـ ــ١٩٨٣م.
٢٠ــ مختصر بصائر الدرجات / أبو محمّد الحسن سليمان الحليّ (ق٨هـ ) دار المفيد للطباعة والنشر / بيروت /ط١/ ١٤٢٣١هـ ــ٢٠٠٣م.
٢١ــ معاني النحو / د. فاضل صالح السامرائيّ /نشر جامعة بغداد / مطبعة التعليم العالي في الموصل /ط١/١٩٨٩.
٢٢ــ المفردات في غريب القرآن /أبو القاسم الحسين بن محمّد الراغب الأصبهانيّ (ت٥٠٣هـ ) / ضبط هيثم طعيمي / دار إحياء التراث العربيّ / بيروت / ط١/ ١٤٢٣هـ ــ٢٠٠٣م.
٢٣ــ مفهوم الجملة عند سيبويه / د.حسن عبد الغني الأسديّ / أطروحة دكتوراه قدّمت إلى مجلس كليّة التربية / دار الكتب العلميّة / بيروت / ط١/ ٢٠٠٧.
٢٤ــ المهديّ في العراق / د.عبّاس الربيعي .
٢٥ــ نهج البلاغة ( ملحق بـ ( المعجم المفهرس لنهج البلاغة ) / إعداد : محمّد دشتي / مطبعة ميراث / انتشارات مشهور (مؤسّسة تحقيقاي أمير المؤمنين ) إيران /ط١/ ١٣٨٠هـ .ش .

البحوث

١ــ اختلاف أهل الشام وبروز السفيانيّ / د. حسن عبد الغني الأسديّ /بحث غير منشور .
٢ــ الدلالة القرآنيّة للفظة تأويل / د.حسن عبد الغني الأسديّ /بحث غير منشور .
٣ــ سقوط الفخارة فرج لأمّة محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) / د. أبو غدير الأسديّ (د.حسن عبد الغني ) (بقسمين )/ مركز الشهيدين الصدرين للدراسات والبحوث العراق / ملحق مجلة سبيل .